

التحليل البنوي للسرد

المتعاليات النصية عند جيرار جينيت

01- المتعاليات النصية

تعد المتعاليات النصية أهم مظاهر الشعرية الحديثة كما رأها جيرار جينيت، بتركيزها على البعد العلائقي بين النصوص، وباعتبار أن شعرية كل نص كامن في علاقاته المتشعبة مع النصوص الأخرى، والأصل في شعرية هذه النصوص من خلال المتعاليات النصية؛ يعود إلى خروج النص من حالة السكونية إلى حالة من الديناميكية، ومن الانغلاق إلى الانفتاح، إن هذا التحاور والتفاعل يؤدي إلى إنتاج نصوص أخرى. لأن النص ذو طبيعة توالدية وإنتاجية ومتصل بنصوص تسبقه وأخرى تعاصره، ومن ثم فإنه يتولد عنها ويصبح نتاجاً لها، وهذه الطبيعة التفاعلية للنص والتي لا تتوقف هي ما يطلق عليه المتعاليات النصية التي تعبر عن الشعرية الحديثة، من "منطلق أن الشعرية خصوصية علائقية، وأن شعرية كل نص كامنة في تفاعلاته.

وقد وردت مقولة المتعاليات النصية عند جينيت ضمن رؤيته للشعرية الحديثة، انطلاقاً من البحث فيما يجعل من نص ما نصاً أدبياً، إذ بدأ مما يصنع شعرية المحكي، ومما يميز المحكي عن غيره، ليفتح ممرات عبر منها إلى البحث فيما ينسج من المحكي نصاً إلى مكاشفة دقائق تشكله لتقصي حقيقة انتمائه وأجناسيته، لتشمل جميع العلاقات بين النصوص، وركز نظرتة على هذه العلاقات وأنماطها "والطرق التي تعيد قراءة وكتابة نص من نص آخر والغطاء النصي المتعالي للأدب. ومن المهم معرفة أن بناء نظرية المتعاليات النصية قائم بالأساس على مفهومين سابقين هما: الحوارية عند باختين، والتناص عند جوليا كريستيفا، وبالطبع فإن هاتين النظريتين السابقتين تقومان على وجود تفاعل وتداخل بين طرفين؛ نصّ ونصّ آخر. أي أن المتعاليات النصية قد قامت على نفس فكرة الجدلية والحوارية كما تبناها باختين، وفكرة تولد نص من آخر وتأثره به كما هو حال التناص عند جوليا، ولا شك فإن دور هذين الناقدين كبير في تحول النظرة النقدية من فكرة انغلاق النص على نفسه واكتفائه بذاته، لتصبح كل كتابة هي إعادة كتابة".

إن ولوج جينات عالم التعالي النصي وهو الجانب الذي يعنيه منه، فحده بكونه "كل ما يضع النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى". وضمن التعالي النصي يدرج التناص وهو "الحضور الحرفي بصورة كاملة أو غير كاملة لنص ضمن آخر، وهو ما يطلق عليه مصطلح الشاهد. ومن هذا المفهوم يولد جينيت مفاهيم أخرى جديدة كالنص البعدي أو الميتانص وهو "العلاقة العابرة للنصوص التي تربط شرح نص بالنص الذي شرحه.

01-التناص intertextualité: كانت جوليا "كريستيفا" أول من اكتشفه بهذا الاسم، وهو يتحدد عنده

بالحضور الفعلي لنص داخل نص آخر. و يمكن لهذا الحضور أن يتجسد في ثلاثة أشكال كبرى هي:

أ- **الشاهد:** الذي يلتزم فيه بحرفية النص، ويصرح فيه بالحضور، وهو شكل تقليدي يقوم على وضع المزدوجتين، والإحالة على المرجع فيه غير إلزامية.

ب - **السرقَة الأدبية:** لا يتم فيها التصريح باستعارة نص على الرغم من اقتباسه حرفيا.

ج- **التعريض:** وفيه لا يؤخذ النص بحرفيته، ولا يصرح بعملية الاستعارة التي يفترض أن تكون قد حدثت بين نص و آخر، فشكلت حضورا قد يكون صريحا أو مضمرا.

02-المناس أو النصية المصاحبة la paratextualité: وقصد بها مجموع العلاقات التي يقيمها النص

مع ما لا يمكن تسميته إلا بالنصوص الموازية كالعنوان وشبه العنوان والعنوان الفردي، والمقدمة، والملحقات، والتنبيهات والتمهيد، الحواشي، والهوامش السفلية من الصفحة، وأواخر الكتاب، والتصديرات والرسوم والإعلان عما سيصدر مما خطه المؤلف والشريط والمجلد وغيرها من الإشارات الملحقة التي توفر للنص محيطا متغيرا وأحيانا تعليقا رسميا أو غير رسمي.

03-الميتانصية أو النصية البعدية أو الواصفة la métatextualité: إنها علاقة "النقد" و"التعليق"،

وتصل بين نص وآخر بحيث يتضمن الثاني حديثا عن الأول، ولا تبدي هذه العلاقة حاجة إلى معرفة ما إذا كان هذا الحديث صريحا معلنا أو ضمنيا مضمرا، ولكنها تتطلب بعض التحديد، فالنصية الواصفة عادة ما تكون خارجية، لما يأخذ التعليق النقدي شكل الجنس المخالف للنص الذي ينقده، و يتميز عنه بوجود مؤلفه ودار نشره، أما إن كان النقد داخليا مندمجا في النص الإبداعي، فالمبدع هو الذي ينهض به ، وحينئذ يكون ذلك من قبيل التعليق على النصوص، أو نقدها ، وهذا ما يقرب الميتانص من التناص.

04-النص اللاحق Hypertextuality

هو رابع الأنماط في المتعاليات النصية، وقد تعدد ترجمات هذا المصطلح أيضاً فمنها: (النصية الاتساعية النصية الإحالية النص الأعلى التعلق النصي) وهذه المصطلحات في مجملها تدل على وجود نص آخر يتم التوسع من خلاله، أو يتعلق به النص اللاحق، أو هو الأثر الذي يُكتب على الآثار الباهتة التي يحتويها قديماً.

ويعني هذا أن نمط النصية الاتساعية يستدعي وجود نص سابق ويحيل إليه ليصبح هذا النص السابق ملهماً في نسج خيوط النص الذي بين أيدينا (اللاحق) ويظهر من خلال هذا النمط مدى تأثير الكاتب بنص بعينه وتفاعله معه، بحيث يقوم باستدعاء كلي أو جزئي له بشكل خفي أو واضح؛ لتقوم علاقة على أساس

"الانطلاق من نص سردي قديم محدد الكاتب والهوية، وعبر الحوار أو التفاعل النصي معه؛ يتم تقديم نص سردي جديد، وإنتاج دلالة جديدة لها صلة بالزمن الجديد الذي ظهر فيه النص".
ويحمل هذا النمط الطابع التوليدي، إذ يتولد اللاحق من رحم السابق؛ سواء أخذ ملامحه أو مضامينه، ليستثير هذا النص الجديد مخيلة القارئ وذاكرته عن النص السابق ويحيل إليه. ومن خلال هذا النمط تقوم علاقة نصية يعمد من خلالها "النص اللاحق إلى تحويل النص السابق بطريقة مباشرة وصريحة، فيعيد كتابته كتابة جديدة، إلا أن التحويل يفترض محاكاة النص اللاحق للنص السابق، إذ ما من سبيل إلى حصول التحويل إلا بعد استيعاب النص اللاحق للنص السابق وتمثله". أي أن هذه العلاقة تظهر من خلال "تمطين أساسيين هما: تحويل وتغيير النص السابق، أو محاكاة وتقليد نص لنص سابق، وتتدرج تحت هذين النمطين كل عمليات تعلق نص بآخر". ويفرق جينيت بين النمطين بأن جعل التحويل هو قول الشيء نفسه بطريقة أخرى، بينما المحاكاة من خلال قول شيء آخر بطريقة مشابهة.

05-النصية الجامعية أو معمار النص Architextuality

يعبر هذا النمط الخامس عن الوجه الأجناسي أو التصنيفي للنص، وله مترادفات كثيرة كذلك؛ ترجمةً للمصطلح الأساسي منها: (جامع النص/ النص الشامل)، ويتبين - منها أن لها صلة بمسألة نوع النص بما تدل عليه الخصائص الفنية العامة، إذ تبحث هذه العلاقة النصية في المسار العمودي البنائي للنص، انطلاقاً من أن دخول هذا النص في علاقات متشابهة مع نصوص أخرى؛ فإن ذلك يؤثر على طريقة بنائه ومن ثم تحديد نوعه، ويعرف جينيت هذا المصطلح بأنه "المقولات العامة وأنواع الخطابات وصيغ التلطف والأجناس الأدبية التي ينتمي إليها النص، فهي بمعنى الخصائص العامة أو المتعالية التي ينتمي إليها كل نص على حدة". ويظهر في تعريف جينيت أن هذا النمط يبحث في ملامح النص التي تحدد نوعه وجنسه، وذلك من خلال مجموع المقولات والخطابات المحددة لذلك.

يتبين من خلال عرض هذه العلاقات النصية الخمسة المشكلة للمتعاليات النصية؛ أنها تجمع بين الأدبية متمظهرة في شعرية النص، والقيمة الثقافية بما تكشفه من علاقات بين النص القائم ونصوص وخطابات أخرى متعددة المرجعيات، كما ظهر مدى تكامل هذه الأنماط وتداخلها؛ لأنها تقوم على انفتاح النص، ومحاولتها الكشف عن الجدلية القائمة بين النصوص سابقها ولاحقها.

العتبات النصية

الحقيقة أن مصطلح العتبات قد تمت ملامسته من نقاد كثر في الحقل النقدي الغربي بحثوا في تمظهراته المفاهيمية وتجلياته المصطلحية، وإن لم يخصصوا له كتاباً كاملاً، ولم يعنوا بتقسيماته، أو فهم مبادئه ووظائفه قبل أن نتوج في كتاب عتبات لجيرار جينيت.

يعد ميشيل فوكو من الأوائل الذين أثاروا قضية العتبات ففي كتابه **حفريات المعرفة** يقول في معرض حديثه عن حدود الكتاب "حدود كتاب من الكتب ليست أبداً واضحة بما فيه الكفاية وغير متميزة بدقة. فخلف العنوان، والأسطر الأولى، والكلمات الأخيرة، وخلف بنيته الداخلية وشكله الذي يضفي عليه نوعاً من الاستقلالية والتميز، ثمة منظومة من الإحالات إلى كتب ونصوص وجمل أخرى".

كما اهتم ليو هويك بالعتبات في طروحاته فهي "مجموعة من الدلائل اللسانية يمكنها أن تثبت في بداية النص، من أجل تعيينه والإشارة إلى مضمونه الإجمالي ومن أجل جذب الجمهور المقصود". ومن الذين دعوا إلى الاهتمام بالعتبات النصية أيضاً لوسيان غولدمان إذ دعا الدارسين والباحثين الغربيين إلى إيلائها أهمية بالغة في عملية دراسة النصوص، وأكد على العنوان بصفة خاصة، ومدى تعالقه مع المتن النصي للرواية.

تتأتى أهمية العتبات على ما يطلق عليه في فلسفة اللغة بـ "القوة التأكيدية كأن ينقل معلومة (مثل اسم المؤلف، تاريخ النشر)، أو غاية، أو شرحاً (وظيفة التمهيد)، أو إقرار (مثل انتحال اسم أو عنوان)، أو التزاماً (تحديد الجنس الأدبي مثل السيرة الذاتية التي تفرض عقد من المصادقية). وكأنها تقوم بعملية تنظيم العالقة بين النص والقارئ. أو بوصفها خطاب غير تابع بصورة أساسية، ومساعدة مخصصاً لخدمة شيء آخر يشكل سبب وجوده الذي هو النص وتخصص هذه التبعية وظيفته بالتحديد.

يعد المناص عتبة تحيط بالنص، عبرها نفتحم أغوار النص، وفضاءاته الرمزية والدلالية فكان "جيرار جنيت أحد المشتغلين عليه، حيث أنه لم يقدم له تحديداً، إلا بعدما عدل من مفهومه لمقولة ال شعرية) سنة 1982م في كتابه أطراس، الذي تجاوز فيه معمارية النص كمجموعة من المقولات العامة في أنماط الخطاب والصيغ القولية، والأجناس الأدبية <ليصبح الآن موضوع الشعيرة عنده، هو المتعاليات النصية>. التي ضمنها خمسة أنماط، من بينها المناص الذي حاز على اهتمام مثير في المقاربات النقدية المعاصرة، بل أضحى يمتلك نظريته الخاصة به في خضم النظرية الأدبية، وذلك بعد أن أفرد جيرار جنيت للمناص كتابه عتبات عام 1987م، حيث قدم لنا تعريفاً مفصلاً يجعله نمطا من أنماط المتعاليات النصية، والشعرية عامة <يتشكل من رابطة هي عموماً أقل ظهوراً وأكثر بعداً من المجموع الذي يشكله عمل أدبي. وبالتالي يغدوا المناص الوسيلة التي تمكن ناصاً ما أن يصبح كتاباً بذاته، ويقدم نفسه للقارئ ويضيف جيرار أن المناص هو <الذي يجعل النص كتاباً ليقدم إلى القراء، بصفة خاصة والجمهور بصفة عامة>> أي أنه عبارة عن ملحقات نصية وعتبات نفككها قبل ولوج أي فضاء داخلي.

للعبارات أهمية كبرى في فهم النص، وتأويله من جميع الجوانب والإحاطة به إحاطة كلية، وذلك بالإلمام بجميع تفصيلاته من الداخل والخارج التي تشكل عمومية النص ومدلوليته الإنتاجية، ومنه ينقسم المناص إلى:

النص المحيط هو: >> عبارة عن ملحقات نصية، تتصل بالنص مباشرة، كالغلاف والمؤلف، والعنوان، والإهداء، والمقتبسات، والمقدمات، والهوامش (...)<< أي كل ما يتعلق بالمظهر الخارجي للكتاب.

النص الفوقي: >> كل نص بينه وبين الكتاب بعد فضائي وفي أحيان كثيرة زمني أيضا، ويحمل صبغة إعلامية مثل الاستجابات والمذكرات، والشهادات، والإعلانات<< فهو كل نص مواز لا يوجد ماديا ملحقا بالنص ضمن نفس الكتاب، ولكن ينتشر في فضاء فيزيائي واجتماعي غير محدد بالقوة، كأن يكون منشورا بالجرائد والمجلات والبرامج الإذاعية، واللقاءات والندوات.

فهذان النصان - المحيط والفوقي - يحيطان بنص مركزي بؤري هو النص الإبداعي الرئيس، ولا يمكن فهم هذا النص أو تفسيره إلا بالمرور عبر العتبات المحيطة. و يشكل تعالقهما - النص المحيط و الفوقي - حقلا فضائيا للمناص.

* **العنوان:** الذي يعد أول العتبات التي يعمل القارئ على دراسة بنيتها، وقد ركز جنيت في دراسته على أربع وظائف للعنوان:

1- **التعينية:** والتي بمقتضاها يتم تعيين اسم الكتاب وتقديمه إلى القراء، لأنها في أصلها >>تحديد لهوية النص وتبدو إلزامية، ولكن دون أن تتفصل عن الوظائف الأخرى<<.

2- **الوصفية:** وهي التي يسعى العنوان عبرها إلى وصف محتوى النص، بمنح القارئ فكرة عامة عليه، وهو ما يجعلها >>المسؤولة عن الانتقادات الموجهة للعنوان<<

3- **الإيحائية:** تعتمد على مدى قدرة المؤلف على التلميح من خلال التركيب اللغوي البسيط.

4- **الإغرائية:** تكاد تكون هذه الوظيفة السمة الغالبة في العناوين، لأن الكاتب يسعى إلى إثارة فضول القارئ واستدراجه لقراءة العمل.

* **اسم المؤلف:** وعتبة المؤلف من أهم العلامات المكونة للخطاب الغلافي على مستوى التشكيل المعنوي والبصري -إذا كان اسم المؤلف مصحوبا بصورته الفوتوغرافية-، ويرتبط المؤلف بالنص الإبداعي ارتباطا مباشرا يضمن للنص اتساقه وانسجامه ووحدته الدلالية والتأليفية. فعن طريق رصد بيوغرافيته وأعماله، يتمكن المحلل من فهم النصوص وتأويلها شرحا و تفسيرا عبر استنطاق الظروف والسيرة واستنكار مدلولات الأعمال الأخرى تناصيا، لفهم كل ما يوجد تحت إرغام التشريح والدراسة والاختبار.

* **الإهداء:** يمثل الإهداء بنية مستقلة تحلينا في كثير من الأحيان على وجود علاقة مباشرة أو غير مباشرة بعنوان وموضوع العمل الأدب، والذي يمكن من خلاله معرفة البنية الكلية النص وكذا الأنساق المتشكلة داخلها.

* **الاستهلال:** يعد الاستهلال أحد العناصر المهمة والموجهة في فهم النص، وهو عند جيرار جنيت >> واحد من العتبات النصية المحيطة بالنص والمساهمة في فهم النص وتحليله<<. كما أنه يمثل >> مدخلا من المداخل التي تجعل المتلقي يمسك بالخيط الأولية والأساسية للعمل المعروض<<.

* **الغلاف:** يعد الغلاف العتبة التي تصافح بصر المتلقي لذلك أصبح محل عناية واهتمام المبدعين الذين حولوه من وسيلة تقنية معدة لحفظ الحاملات الطباعية إلى فضاء من المحفزات الخارجية المساعدة على تلقي المتن النصية، وعلى هذا الأساس يمكننا رصد أنماط التحولات التي طرأت على إخراج أغلفة الكتب استنادا على ما قاله "جيرار جنيت">> أن الغلاف المطبوع لم يعرف إلا في القرن 19م، إذ أنه في العصر الكلاسيكي كانت الكتب تغلف بالجلد ومواد أخرى، حيث كان اسم الكاتب والكتاب يتموقعان في ظهر الكتاب، وكانت صفحة العنوان هي الحاملة للمناس، ليأخذ الغلاف الآن في زمن الطباعة الصناعية، والطباعة الإلكترونية والرقمية أبعادا وأفاقا أخرى.

المراجع

1. فيروز رشام: ما تقوله العتبات النصية.
2. سليمة لوكام: شعرية النص عند جيرار جنيت من الطراس إلى العتبات.
3. عبدالله محمد كامل عبدالغني: شعرية المتعاليات النصية في المجموعة القصصية "صياد النسيم"

لمحمد المخزنجي